وهذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كما جملوا فى الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان.

ونظير قوله تعالى فى آخر السورة:{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ}[1] فهذه زينة الظاهر ثم قال:{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}[2] فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص. ونظيره قوله تعالى - لأبيهم آدم- عليه السلام:{إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى}[3] فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعرى، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ، ولا حر الظاهر بالضحى.

ونظير هذا ما عدده على عباده من نعم أنه أنزل عليهم لباسا يوارى سوآتهم، ويزين ظواهرهم، ولباسا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى، وأخبر أنه خير اللباسين.

وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظها من كل شيطان مارد، فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر، ثم أخبر أن خير الزاد : الزاد الباطن وهو التقوى، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف:{فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ}[4] فأرتهن حسنه وجماله، ثم قالت:{وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ}. فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة وهذا كثير فى القرآن لمتأمله.

* * * * * * *

الباب الثامن والأربعون
فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

قال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[5]، وقال تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}[6]، وقال تعالى:{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ

---

(1) آية (21) سورة الإنسان.
(2) الآية السابقة.
(3) آية (118) سورة طه.
(4) آية (32) سورة يوسف.
(5) آية (41) سورة المرسلات.
(6) آية (19-24) سورة الحاقة .

فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}[1]، وقال تعالى:{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا}[2] وقال تعالى:{وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ}. وقال تعالى:{يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}[3].

وفى صحيح مسلم[4] من حديث أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس**» ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جابر؛ وفيه "قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد".

وفى المسند وسنن النسائى[5] بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال: «**جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى ﷺ فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: نعم، والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة، قال: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى قال: تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه**».

ورواه الحاكم فى صحيحه[6] ولفظه: "أتى النبى ﷺ رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ ويقول لأصحابه: إن أقر لى بهذا خصمته - فقال رسول الله ﷺ: «**والذى نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع، فقال له اليهودى: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال له رسول الله ﷺ: حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضمر**».

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين**

---

(1) آية (72، 73) سورة الزخرف.
(2) آية (35) سورة الرعد.
(3) آية (25) سورة المطففين.
(4) رواه مسلم في كتاب " الجنة " (ج695/5) . الجشاء : تنفس المعدة من امتلاء الصوت يخرج من الفم عند امتلاء المعدة. الرشح : العرق
(5) (صحيح) في " مسند " أحمد (ج8367/4)
(6) (صحيح) الترغيب والترهيب (259/4).

يديك مشويا» [1].

وقد تقدم حديث أنس فى قصة عبد الله بن سلام: فى أول ما يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره، حديث أبى سعيد الخدرى: "تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة"

وقال الحاكم[2] أنبأنا الأصم، حدثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا إدريس بن يحيى، حدثنى الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمى عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة طيرا أمثال البخاتى»** [3]، فقال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: **«أنعم منها من يأكلها أنت ممن يأكلها يا أبا بكر»**.

قال الحاكم وأنبأنا الأصم، حدثنا يحيى بن أبى طالب، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء، أنبأنا سعيد عن قتادة فى قوله تعالى:**{وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}** قال: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله، إنى لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون، قال: **«من يأكلها أنعم منها، وإنها أمثال البخاتى وإنى لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر»** وبهذا الإسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى:**{يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ}**[4]، قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس فى الأخرى".

وقال الدراوردى: حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس ابن مالك يقول فى الكوثر: قال رسول الله ﷺ: **«هو نهر أعطانيه ربى أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر»، فقال عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، فقال رسول الله ﷺ: «آكلها أنعم منها»** [5] تابعه إبراهيم بن سعد عن ابن أخى عن ابن شهاب وقال: فقال أبو بكر بدل عمر.

وقال عثمان بن سعيد الدارمى: حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على

---

(1) (ضعيف) المجمع (414/10).

(2) أورده فى "الترغيب والترهيب" (259/4) من حديث أنس، وقال: رواه أحمد بإسناد جيد، والترمذى وقال: حديث حسن.

(3) البخاتى: جمع بخت، بضم الموحدة وسكون الخاء، وهى الإبل الخراسانية. (المعجم الوسيط : بُخْت)

(4) آية (71) سورة الزخرف.

(5) (صحيح) الحاكم (537/2).

بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى:{وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ}[1] يقول: الخمر لا فيها غول: يقول: ليس فيها صداع، وفى قوله تعالى:{وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ}[2] يقول: لا تذهب عقولهم، وقوله تعالى:{وَكَأْسًا دِهَاقًا}[3] يقول ممتلأة، وقوله:{رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ}[4] يقول: الخمر ختم بالمسك: وقال علقمة عن ابن مسعود:{خِتَامُهُ مِسْكٌ}[5] قال: خلطه وليس بخاتم ثم يختم. قلت: يريد - والله أعلم - أن آخره مسك يخالطه، فهو من الخاتمة وليس من الخاتم. وقال زيد بن معاوية: سألت علقمة عن قوله تعالى:{خِتَامُهُ مِسْكٌ} فقرأتها{خِتَامُهُ مِسْكٌ} فقال لى علقمة: ليست خاتمة ولكن اقرأه{خِتَامُهُ مِسْكٌ} قال علقمة: ختامه خلطه، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب: إن خلطه من مسك لكذا وكذا.

وذكر سعيد بن منصور: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق: الرحيق: الخمر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك، وبهذا الإسناد عن مسروق، عن عبد الله فى قوله تعالى:{وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ}[6] قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا. وكذلك قال ابن عباس: يشرب منها المقربون صرفا، ويمزج لمن دونهم. وقال مجاهد: ختامه مسك يقول: طينه، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير. ولفظ الآية أوضح منه. وكأنه والله أعلم، يريد ما يبقى من أسفل الإناء من الدردى.

وذكر الحاكم من حديث آدم: حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبى الدرداء فى قوله:{خِتَامُهُ مِسْكٌ}[7] قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها".

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال: {التَسْنِيمٍ}: اسم العين التى يمزج بها الخمر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله:{وَكَأْسًا دِهَاقًا}[8] قال: هى المتتابعة الممتلأة. قال: وربما سمعت العباس يقول: اسقنا وأدهق لنا.

---

(1) آية (18) سورة الواقعة.
(2) آية (47) سورة الصافات.
(3) آية (34) سورة النبأ.
(4) آية (25) سورة المطففين.
(5) آية (26) سورة المطففين.
(6) آية (27) سورة المطففين.
(7) آية (26) سورة المطففين.
(8) آية (34) سورة النبأ.

وقد تقدم الكلام على قولـه تعالى:{إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًـا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}[1] وعلى قولـه:{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِـيلاً * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَـبِيلاً}[2]، فقالت فرقة: سلسبيلا جملة مركبة من فعل وفاعل، وسبيلا: منصوب على المفعول، أى سل سبيلا إليها وليس هذا بشيء، وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهى اسم للعين نفسها باعتبار صفتها، ولقد سعى قتادة ومجاهد فى اشتقاق اللفظة فقال قتادة: سلسلة لهم يصرفونها حيث شاءوا. وهذا من الاشتقاق الأكبر؛ وقال مجاهد: سلسلة السيل حديدة الجرية، وقال أبو العالية: والمقاتلان تسيل عليهم فى الطرق، وفى منازلهم، وهذا من سلاستها وحدة جريتها وقال أخرون: معناها الطيبة الطعم والمذاق.

وقال أبو إسحاق: سلسبيل صفة لما كان فى غاية السلاسة، فسميت العين بذلك. وقال ابن الأنبارى: الصواب فى سلسبيل: إنه صفة للماء، وليس باسم للعين واحتج على ذلك بحجتين :

إحداهما: أن سلسبيلا مصروف، ولو كان اسما للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية.

الثانيـــة: أن ابن عباس قال: معناه أنها تنسل فى حلوقهم انسلالا. قلت: ولا حجة لـه فى واحدة منهما، أما الصرف فلاقتضاء رؤوس الآى لـه كنظائره، وأما قول ابن عباس، فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة. فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة، والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

فإن قيل: فأين يشوى اللحم وليس فى الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ"كن" وأجاب آخرون: بأنه يشوى خارج الجنة، ثم يؤتى به إليهم.

و الصواب أنه يشوى فى الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه، كما قدر هناك أسبابا لإنضاج الثمر والطعام، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئا. وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الألوة**»[3] والمجامر: جمع مجمر، وهو البخور الذى يتبخر بإحراقه و"الألوة": العود الطرى، فأخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون بإحراقه، لتسطع لهم رائحته.

---

(1) آية (5، 6) سورة الإنسان.
(2) آية (17، 18) سورة الإنسان.
(3) سبق تخريجه.

وقد أخبر - سبحانه - أن في الجنة ظلالا، والظلال لابد أن تفيء مما يقابلها فقال:{هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ}[1] وقال:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ}. وقال:{وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً}[2] فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعى أسباباً تتم بها. والله - سبحانه - خالق السبب والمسبب، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم – سبحانه- أسبابا تصرف الطعام من الجشاء والعرق، الذى يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه، ويهيؤه لخروجه رشحا وجشاء، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل - سبحانه - أوراق الشجر ظلالها، فرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله - سبحانه - على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم، وإلا فليست قدرته - سبحانه وتعالى - مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشؤها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك.

ولعل النشأة الأولى التى أنشأها الرب - سبحانه وتعالى - فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التى وعدنا الرب - سبحانه وتعالى - فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التى وعدنا بها إذا تأملها اللبيب.

ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة، والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجنة ومائها وهوائها.

ولعل إخراج هذه الأشربة التى هى غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم، ومن قيء ذباب أعجب من إجرائه أنهارا في الجنة بأسباب أخر، ولعل إخراج جوهرى الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها، أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز، وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء، أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه

(1) آية (56) سورة يس.
(2) آية (57) سورة النساء.

شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها فى الجنة فى غير أخدود.

وبالجملة، فتأمل آيات الله التى دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه، وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار، تجد هذه أدل شىء على تلك و شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة، ورب واحد، وخالق واحد، ومالك واحد، فبعدا لقوم لا يؤمنون.

* * * * * * *

الباب التاسع والأربعون
فى ذكر آنيتهم التى يأكلون فيها وأجناسها وصفاتها

قال تعالى:{يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ}[1] فالصحاف جمع صحافة، قال الكلبى: بقصاع من ذهب، وقال الليث: الصحفة: قطعة مسلطحة عريضة، فالجمع: صحاف، قال الأعشى:

والمكاكيكُ والصحافُ من الفضـ ... ـةِ والضامزاتِ تحتَ الرجالِ [2]

وأما الأكواب فجمع كوب، قال الفراء: الكوب المستدير الذى لا أذن له.

وأنشد لعدى: [3]

مُتَّكِئا تصفقُ أبوابُه ... يسعى عليه العبدُ بالكُوبِ

وقال أبو عبيدة: الأكواب: الأباريق التى لا خراطيم لها. قال أبو إسحاق: واحدها: كوب وهو إناء مستدير لا عروة له، وقال ابن عباس: هى الأباريق التى ليست لها آذان، وقال مقاتل: هى أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى.

وقال البخارى فى صحيحه: الأكواب: الأباريق التى لا خراطيم لها وقال تعالى:{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ}[4] الأباريق:

---

(1) آية (71) سورة الزخرف.

(2) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، توفي سنة7هـ. والمكاكيك: مفرده مكوك: طاسٌ يشرب به أعلاه ضيق، ووسطه واسع.

(3) عدى بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي. شاعر، من دهاة الجاهليين توفي سنه 35ق. هـ.

(4) آية (17) سورة الواقعة.